ان اعمال العباد لم تدخل في الحديث ولكن ما يصيبه من النعم والمصائب ولهذا قال
ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له الخ وهذا ظاهر اللفظ فلا اشكال الثاني ان قدر
دخولها فقد قال صلى الله عليه وسلم من سرته حسنته وساءته سيئته فهو المؤمن فاذا
قضي له بحسنة فهو مما يسره واذا قضي بسيئة فهو مما يستحق العقوبة اذا لم يتب
فان تاب ابدلت حسنة فليشكر عليها وان لم يتب ابتلي بمصائب تكفرها فيصبر
عليها فيكون ذلك خيرا له وهو قال لا يقضي الله للمؤمن والمؤمن المطلق هو الذي
لا يصر على الذنب بل يتوب منه فيكون حينئذ كما جاء في عدة آثار ان العبد ليعمل الذنب فيدخل
به الجنة يعمل فلا يزال يتوب منه حتى يدخل بتوبته منه الجنة والذنب يوجب ذل العبد
وخضوعه ودعاءه واستغفاره وشهوده لفقره وفاقته اليه وفي قول من نفسك فيه
فوائد ان العبد لا يطمئن الى نفسه فان الشر لا يجيء الا منها ولا يشتغل بملام الناس
وذمهم ولكن يرجع الى الذنوب فيتوب منها ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات
عمله ويسأل الله ان يعينه على طاعته فبذلك يحصل له الخير ويندفع عنه الشر
ولهذا كان انفع الدعاء واعظمه واحكمه دعاء الفاتحة اهدنا الصراط المستقيم
الخ فانه اذا هداه هذا الصراط اعانه على طاعته وترك معصيته فلم يصبه
شر لا في الدنيا ولا في الاخرة والذنوب من لوازم النفس وهو محتاج الى الهدى
كل لحظة وهو الى الهدى احوج منه الى الاكل والشرب ويدخل في ذلك من انواع
الحاجات ما لا يمكن احصاؤه ولهذا امر به في كل صلاة لفرط الحاجة اليه وانما
يعرف بعض قدره من اعتبر احوال نفسه ونفوس الانس والجن المامورين
بهذا الدعاء ورأى ما فيها من الجهل والظلم الذي يقتضي شقاءها في الدنيا والآخرة
فيعلم ان الله بفضله ورحمته جعل هذا الدعاء من اعظم الاسباب المقتضية
للخير المانعة من الشر ومما يبين ذلك ان الله لم يقص علينا في القرآن قصة احد
الا لنعتبر بها وانما يكون الاعتبار اذا قسنا الثاني بالاول وكانا مشتركين
في المقتضي والحكم فلولا ان في نفوس الناس من جنس ما كان في نفوس المكذبين
للرسل فرعون ومن قبله لم يكن بنا حاجة الى الاعتبار بمن لا نشبهه قط ولكن
الامر كما قال تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقال كذلك ما اتى الذين
من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون وقال تعالى كذلك قال الذين من قبلهم
مثل قولهم

تشابهت قلوبهم وقال تعالى يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم لتسلكن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب
لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقال لتأخذن امتي ما اخذ الامم
قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع قالوا يا رسول الله فارس والروم قال فمن وكلا الحديثين في
الصحيح ولما كان في غزوة حنين كان للمشركين سدرة يعلقون عليها اسلحتهم فقال
بعض الناس يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال الله اكبر قلتم كما قال
اصحاب موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة انها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم وقد بين
القرآن ان السيئات من النفس وان كانت بقدر الله فاعظم السيئات جحود الخالق
والشرك به وطلب النفس ان تكون شريكة له او الها من دونه وكلا هذين وقع فان فرعون
وابليس يطلب ان يعبد ويطاع من دون الله وهذا الذي في فرعون وابليس غاية
الظلم والجهل وفي نفوس سائر الانس والجن شعبة من هذا وهذا ان لم يعن الله العبد
ويهديه والا وقع في بعضها وقع فيه فرعون وابليس بحسب الامكان فان بعض العارفين قال
ما من نفس الا وفيها ما في نفس فرعون الا انه قدر فاظهر وغيره عجز فاضمر وذلك
ان الانسان اذا اعتبر وتعرف نفسه والناس رأى الواحد يريد نفسه ان تطاع
وتعلو بحسب الامكان والنفوس مشحونة بحب العلو والرياسة بحسب امكانها
فتجده يوالي من يوافقه على هواه ويعادي من يخالفه في هواه وانما معبوده ما يهواه
ويريده قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا والناس عندهم
في هذا كما هم عند ملوك الكفار من الترك وغيرهم يقال يا خان اي صديق وعدو
فمن وافق هواهم كان وليا وان كان كافرا وان لم يوافقه كان عدوا وان كان
من المتقين وهذه حال فرعون والواحد من هؤلاء يريد ان يطاع امره بحسب امكانه
لكنه لا يتمكن مما تمكن منه فرعون من دعوى الالهية وجحود الصانع وهؤلاء وان اقروا
بالصانع فاذا جاءهم من يدعوهم الى عبادته المتضمنة ترك طاعتهم عادوه كما عادى
فرعون موسى وكثير من الناس عنده عقل وايمان لا يطلب هذا الحد بل تطلب نفسه
ما هو عنده فاذا كان مطاعا مسلما طلب ان يطاع في اغراضه وان كان فيها
ما هو ذنب ومعصية لله ويكون من اطاعه احب اليه واعز عنده ممن اطاع الله
وخالف هواه وهذه شعبة من حال فرعون وسائر المكذبين للرسل وان كان
عالما او شيخا احب من يعظمه دون من يعظم نظيره حسدا وبغيا كما فعلت

Copyright © King Saud University